الشعر المصرى فى مائة عام

الحالة السياسية والاجتماعية والفكرية

للأستاذ محمد سيد كيلانى

— ٢ —

١٨٥٠ — ١٨٨٢

وقد طغى نفوذ الأجانب فى عصر اسماعيل طغيانا كبيراً ، واشتدت شوكتهم إلى حد لم يسبق له مثيل فى تاريخ البلاد . وقد آلم هذا المصريين وأحزنهم . لقد أضحى الأجانب متحكمين بكل شئ ، والمصريون محرومون من كل شئ . فلا عجب أن شعر المصرى بأنه غريب فى بلده ، ذليل فى وطنه . قال السيد على أبو النصر —

أكرمتم الغرباء النازلين بكم لكن فلاحكم ضاقت مزارعه

وللسيد صالح مجدى قصيدة مؤثرة صور فيها طغيان نفوذ الأجانب على المصريين . ومما جاء فيها قوله :

ومن عجب فى السلم أنى بموطنى أكون أسيراً فى وثاق الأجانب
وأن زعيم القوم يحسب أننى إذا أمكنتنى فرصة لم أحارب
وأنى أغضى عن مساو عديدة له بعضها يقضى بخلع المناكب
وأضرب صفحاً عن مخاز أقلها لدى العدل لا تحصى بدفتر كاتب
أأتركها من غير نشر فينطوى بأوطاننا فيها لواء المحارب
وهل يجعل الأعمى رئيساً وناظراً على كل حر فى له لنا فى المكاتب
ومن أرضه بأتى بكل ملوث جهول يتلقين الدروس لطالب
فيمكث فى مهد المعارف برهة من الدهر مغمورا ببحر المواهب
ويغنم الأموال لا لمنافع تعود على أبنائنا والأقارب
ولا يغنى عن مصر فى أى حالة إلى أهله إلا بمل الحقائب

وهى قصيدة رائعة حقاً صور فيها الشاعر أحوال هؤلاء الأوربيين الذين كانوا يفدون إلى مصر فى حالة بؤس وجوع ثم يغتنون فى مدة وجيزة مع أنهم مجردون من العلم والذمة والضمير . وإنما همهم النهب والسلب والحصول على المال بكل وسيلة .

* * *

ليس لأحد غير أعضاء الأسرة المالكة أن يعرفه ، وما استطاع أحد أن يفشى الأسرار للشعب المحكوم . وفى وقت كان سعى التحليلات السياسية الحقة — كما تووفت فى الأسر المالكية من جيل إلى جيل — مفقوداً ، قد أعان هذا الفقد على نجاح غرضنا .

(٣٣) إن صيحتنا « الحرية والمساواة والإخاء » قد جلبت إلى صفوفنا فرقا كاملة من زوايا العالم الأربع عن طريق وكلائنا المتغلغلين ، وقد حلت هذه الفرق ألويتنا فى نشوة ، بينما كانت هذه الكلمات — مثل كثير من الديدان — تلتهم سعادة المسيحيين ، وتحطم سلامهم وثباتهم ووحدتهم ، مدمرة بذلك أسس الدول . وقد جلب هذا العمل النصر لنا كما سنرى بعد . إنه مكننا بين أشياء أخرى — من لعب دور الآس فى أوراق اللعب الغالبة ، أى حق الامتيازات ، وبتعبير آخر حق كيان الارستقراطية الأممية التى كانت الحماية الوحيدة للأمم والبلاد ضدنا .

(٣٤) ولقد أنشأنا على أطلال الأرستقراطية الطبيعية والوراثية أرستقراطية من نمطنا على أساس بلوتقراطى (حكم الأغنياء) أنفسنا.

الأرستقراطية الجديدة على الثروة التى تتسلط عليها ، وعلى العلم الذى يوجه علماؤنا . ولقد عاد انتصارنا أيسر فى الواقع ، فإننا من خلال صلاتنا بالناس الذين لا غنى لنا عنهم — كنا دائما نحرك أشد أجزاء العقل الإنسانى إحساساً ، أى نستثير مرض قرائسنا من أجل المنافع ، وشرههم ونهمهم والحاجات المادية للإنسان ، وكل واحد من هذه الأمراض يستطيع مستقلا بنفسه أن يحطم الطليعة ، وبذلك يضع قوة إرادة الشعب تحت رحمة أولئك الذين سيجردونه من كل قوة طليعته .

(٣٥) إن تجرد كلمة « الحرية » جعلها قادرة على إقناع الرعاع بأن الحكومة ليست شيئا آخر غير مدير ينوب عن المالك الذى هو الأمة ، وفى المستطاع خلعها كقفازين بالين . وإن حقيقة أن ممثل الأمة يمكن عزلهم قد أسلمت ممثليهم لسلطاننا ، ووضعت تعيينهم عمليا فى أيدينا .

محمد خليفة التونسى

(يتبع)

وكان الخديو اسماعيل عظيم العناية بإقامة الحفلات المدرسية التي تختم بها الامتحانات العامة في المدارس على اختلاف درجاتها وكان يحضر هذه الحفلات كبار رجال الدولة وتوزع فيها الجوائز على المتقدمين من الناجحين، ويلقى فيها الأساتذة ونوابغ الطلبة الخطب والقصائد. وكانت الوقائع المصرية وهي الصحيفة الرسمية للحكومة تهتم بنشر أنباء هذه الحفلات وما يلقى فيها من نثر ونظم فكان هذا من أكبر العوامل التي ساعدت على رواج سوق الشعر في ذلك العصر. وأقبل الشعراء على نظم الأناشيد التي ينشدها الطلبة في هذه الاحتفالات. ومثال ذلك قول عبد الله فكري:

العلم تشريف وشان لأهله في كل آن
والفخر يوم الامتحان يبقى على طول الزمن

العلم أسنى مايرام ويبتغى منه المرام
ويقتفى نهج الكرام فيه على أسنى

وظهرت في عصر اسماعيل حركة إحياء الكتب القديمة، ومال الناس إلى قراءة دواوين فحول الشعراء الذين نشأوا في أزهى عصور الأدب. وقد أثر هذا في الشعر تأثيراً بيناً. فتطرق بعض الشعراء يقلد المتنبي والبحتري والمعري وأبا تمام وأبا نواس وغيرهم من الأعلام. فلا عجب أن أخذت أساليب الشعر تميل نحو الارتقاء وتنفض عن كاهلها ما أصابها من الركة والضعف طوال العصر التركي

وقد أقام الخديو اسماعيل بمناسبة زواج أبنائه حفلات راشة لم ير المصريون لها مثيلا. وكانت أفراح الأنجال هذه موضوعا للشعراء فنظموا في ذلك القصائد والمقطوعات ووصفوا ما أقيم من الملاهي والملاعب وحفلات الرقص والغناء. قال رفاعة رافع الطهطاوي:

كواكب أفراح العزيز بأفقها كصبح يقين قد جلا ظلمة الشك
ورنات أنغام للعازف أطربت كأن قيام الجن تبعث بالجنك
وملعب (بال) بالحسان مدمم عيون غوانيه تغازل بالفتك
رياضة رقص في كمال منزه من الريب موزون على النغم والنك
وكم من فتاة فيه سكرى بلا طلا يراقصها السنيور لطفا مع السهك
وفيه سق البال بالرقص مغرم يقول لسان الحال لابد لي منك
تجلس كتمس البان معطفا وتنثني وتفتر عن برق تألق بالضحك

ولولا الحيا والدين والعلم والتقى
لقال حليف الزهد قد طاب لي هتكي

وعجلس أنس قد تعطر روضه وأرجاؤه فاحت بها نفحة المسك
وفي الجو تفايد النجوم منيرة صوارخ أنواء الشهب السما تحكي
تلون كالحرباء بل ربما حكت يواقيت قد نرت على حجر الحك
وحلبة سبق بالجياد يزينها (رماح أعدت للطعان بلاشك)
بتنظيم أوربا تباهى ابتهاجه ومافاته في الحسن طنطنة الترك

وهكذا صور الشعراء تلك الأفراح وما أعد فيها من ضروب اللهو وأنواع التسلية وألوان البهجة والسرور.

ومال الناس في عصر اسماعيل إلى التنزه في الحدائق والبساتين فكانوا يخرجون إلى شواطئ النيل ويقضون أوقات الأصيل بين الروضة والجزيرة والجيزة. وساعد على ذلك إنشاء جسر قصر النيل والجسر المواجه الذي يطلق عليه الآن كوبري «الجلاء». وقد تغنى الشعراء بهذه الأماكن ولا سيما محمود سامي البارودي الذي أكثر من ذكر «روضة المقياس» و «أرض الجزيرة».

وظهرت في ذلك العصر حياة اللهو والمرح وأقبل الناس على المسارح والملاهي وصالات الرقص ومحال الغناء. وارتقى الذوق الموسيقي وتقدم فن الغناء وعظمت مكانة المغنين. وقد أقبل بعض الشعراء على نظم الأدوار الغنائية والمقطوعات التي تلقى في حفلات التمثيل. وكثرت الأزجال والمواويل والموشحات وذلك لقربها من أفهام الناس. وظهر شعر عليه مسحة من الخلاعة والمجون. ومثال ذلك قول عبد الله فكري:

وهيفاء من آل الفرنج حجابها على طالبي سر وفيها الهوى سهل
تعلقتها لا في هواها سباقب يخاف ولا فيها على عاشق بخل
إذا أبصرت من ضرب بارز قطعة
من الأصفر الإبريز زلت بها النعل
هنالك لا هجر يخاف ولا جفا لديها ولا خلف لوعد ولا مطل
أتيت كما شاء التصابي ربابها وما كان لي عهد بأمثالها قبل
فلما تعارضنا الحديث تعرضت لوصل ومن أمثالها يطلب الوصل
فرحت بها في حيث لا عين ماش تراعنا ولا بعل هناك ولا أهل
وبت ولي سكران من خمر لحظها وراح تدانيها ومن خدها نقل

وقت ولم أعلم بما تحت ذيلها وإن كان شيطاني له بيننا دخل

وقد استخدمت في عصر اسماعيل السنة الميلادية بدلا من السنة الهجرية . والظاهر أن الناس قد تعذر عليهم حفظ شهور هذه السنة فأخذ بعض الشعراء ينظمون هذه الشهور في شعرحتى يسهل على الناس حفظها .. ومن ذلك قول عبدالله فكري .

شهور الافرنج خذوا ترتيبها قد جاء في النظم على مأموليه
يناير فبراير ومارث إبريل مايه يونيه ويوليه
أغسطس سبتمبر أكطوبر نوفمبر ديسمبر فادعوا ليه

ولم يكتف بهذا بل نظمها في مواليا لأنه كما قال أنسب لكونها أعجمية لا يحسن انسجامها في الشعر العربي . وقد وضع مواليا يبين فيها عدد أيام كل شهر من هذه الشهور قال :

فبراير النقص فيه يومين وثاره يوم
وشهور سبعة تزيد يوم تملي يوم
يزيد يناير ومارث ومايه مافيه لوم
يوليه وأغسطس وأكتوبر وديسمبر
وبقية الأشهر ثلاثين في حساب القوم

* * *

ولما ازدادت الأحوال المالية سوءاً في أواخر عصر اسماعيل واشتدت المظالم سئم الناس حكم الخديو وتمنوا زواله .. فلما خلع فرحوا وابتهجوا . وقد عبر الشعراء عن إحساس مواطنيهم في شعر كثير . فمن ذلك قول عبد الله فكري من قصيدة بعث بها إلى الشيخ علي الليثي .

واقرأ على الشيخ الجليل تحية مقرونة بالشوق والتبجيل
وقل البشارة ، مصر ولى أمرها توفيقها من بعد إسماعيل
جاء التناصل باتفاق مبرم فدعوها لتنازل وقبول
فارتاب إسماعيل واضطربت به أحواله والخطب أي مهول
وأقام يبرم أمره ويحله متمثلا بالقال بعد القيل
حتى أتى أمر الخلافة معلنا مضمونه بالمنع والتنويل
فقضى الخديوى بالحكومة لابنه ومضى يهوى نفسه لرحيل

ويلاحظ أن الروح العسكري الذي ظهر في عهد سعيد قد اختفى اختفاء تاما في عصر اسماعيل ولاسيما بعد هزيمة الجيش المصري في الحبشة هزيمة ساحقة ، وبعد إغلاق المدارس الحربية التي فتحت في أوائل عصره ، وبعد تقلقل النفوذ الأوربي في المصالح والدواوين وزوال هيبة الحاكم المصري . لذلك لم يثن الشعراء بالجيوش المصرية ولا بعدتها وأسلحتها ، ولا بأقدامها وبسالتها ، كما فعلوا في عهد سعيد ؛ بل خرست ألسنتهم وأمسكوا عن الخوض في هذا الموضوع .

* * *

انتهى عصر اسماعيل وجاء عصر توفيق (١٨٧٩ — ١٨٩٢م) فوجد أمامه مهمة شاقة فكان الشعب يئن من المظالم والكوارث التي حلت به إبان حكم الخديو السابق ، وبرزح تحت أعباء الضرائب الباهظة التي أثقلت كاهله ، فلا عجب إذا تطلع الناس إلى حكم جديد ينشر العدل ويقضي على الظلم . وقد عبر الشعراء عن ذلك فيما نظموا من مدائح في الخديو الجديد .

قال السيد علي أبو النصر يخاطب توفيقا .

ترجوه إنجاز إصلاح الشؤون عسى
بعفو به الملك دانيه وشاسعه
فإن آمالنا أمّته - جازمة بأنها لا ترى شهما يضارعه
فكن مجيباً أبا العباس دعوتها فباب عطفك يلقى البشر قارعه
ووال فضلك ياخير الولاة لمن والى لأمرك يشقى من يراجعه
واستنتج الرأى إصلاحا فقد حجبت
شمس الهدى بسحاب فاض هامعه
وطهر الملك من مات ومنهم تقوده للقضا جهلا مطامعه

إلى أن قال :

فإن رعيت وراعيت الحقوق فا أولاك بالمدح يجلو الحمد بارعه

وقال السيد صالح مجدي من قصيدة يخاطب بها الخديو توفيق :

وتعمل في رد المظالم فكرة بنور الهدى طول المدى تتوقد
وتطوى بلا ريب سجل مطامع لها كان قبل الآن غيرك يفرد
وتصرف في نشر القناعة ما به بحار الملاهي والشراهة تنفد
وتنسخ أحكاما قضت بابتداعها أمور نهى منها النبي محمد

فنرى من هذا الشعر أن الأمة كانت تريد القضاء على المظالم وتطلب سلاحاً شاملاً للأداة الحكومية . وهذه الرغبات التي رددتها الشعراء تعتبر مقدمة للحركة العرابية التي ظهرت فيما بعد.

بدأت الحركة العرابية في فبراير ١٨٨١ م وبلغت أوجها في سبتمبر من هذا العام . وكان الليثي هو الشاعر الوحيد الذي

انبرى للدفاع عن العرابيين فى حادثة قصر النيل المشهورة . فقال من قصيدة .

لما رأى جنده من شبهة عرضت
قد عارضوا واتقوا بالحزم واحترموا

يوم العروبة إذ شوال منتصف راموا انتصافا وكاد السلم ينحسم
أجاب سؤلهم وهو الجدير به فقابلوه بحسن الحمد واحترموا

ومنها :

وهب لجندك ما قد كان وارعهم بعين أروع سيا طبعه الكرم
هب أنهم أخطأوا لم يستخف بهم
خوف به ثورة الأحشاء تضطرم

فكان ما كان من أمر مغيبه والحمد لله لم يلمم بهـــا ألم
أما لدى يحرك العذب الخضم لهم ما يثلج الصدر يطربه صدورهم
ألست أول ذى حـــلم محامده
سارت مسير الصبا والناس قد علموا

رفقاً وعطفاً وبالصفح الجميل أعد عادات بر لهم فى عودها عشم
فهم لملكك أنصار وهم عدد عند الوغى ومثار النقع مرتكم
وهم سيوفك فى يوم بضربه قلب الجبان وموج الحرب يلتطم
وهم دروع وعاياك الذين لهم فوصف معناك ما تنوله الأمم
حاشاك مولاى أن تصغى لذى غرض
لديه سيان من يحيا ويعـــدم

وكان من مطالب العرابيين إنشاء مجلس نيابى . وقد أجيب هـذا الطلب وافتتح الخديو توفيق مجلس النواب الجديد فى ٢٦ ديسمبر ١٨٨١ م وكان يوما مشهوداً ، وصدر دستور ١٨٨٢ م فقوبل بالابتهاج العام وأقيمت حفلات كثيرة بهذه المناسبة ألقيت فيها الخطب والقصائد . ومدح البارودى الخديو توفيق بقصيدة جاء فيها :

سن المشورة وهى أكرم خطة يجرى عليها كل راع مرشد
هى عصمة الدين التى أوحى بها رب العبـــاد إلى نبى محمد
فمن استعان بها تأيد ملكه ومن استهان بأمرها لم يرشـــد

ولـكن الحركة العرابيـة ما لبثت أن انحرفت عن الطريق المستقيم وساعد على ذلك دسائس الدول الأوربيـة واضطهد العرابيون كل من خالفهم . وازدادت الحالة سوءاً يوما بعد يوم ، وانتشر الرعب وعم الفزع واختل الأمن وأصبح الناس عرضة للسلب والنهب والقتل . وانزوى الأتراك والجراكسة بعيداً عن الأنظار وأضحوا فى وجل شديد وخوف عظيم . وقد صور لنا هذه الحالة أصدق تصوير حسن حسنى الطوبراقى التركى الأصل المصرى المولد والنشأة ، فقال :

فكم ليال أجنتنا غياهبها والحزم أعينه فى غمض ترنيق
وكم صباح ترى حر الهجير به ومالنا من ضياء بعض تأليق
تمسى حيارى وتمسى الأرض واجفة
وتصبح الصبح فى رجف وتخفيق

يعالج الحر ذوق المر يجرعه عبا ورشفاً إلى أن مل من ريق
يمشى العزيز ذليلا فى مناكبها والهام خافضة فى رفعة السوق
أيام ما يعرف الإنسان ينكر من الدنا بين مكروه ومشوق
حيث اكفهر ظلام الظلم تتبعه سحب المنا بين تغتيق وترنيق
حيث الوجود تشظى أهله عدما وود لو كان فيه غير مخلوق
يابسها فتنـــة بالنى طاغية بطيئها بضلال غير مسبوق
أذاقت الأرض بؤساً والسماء أسى
وكدرت صفو ذى قيـــد ومطلوق

وعممت ويلها الأوطان إذ فجرت وخصصت أهلها للجور والضيق
لم تبق عينا بلا سهد ولا تركت قلباً بسهم جفاها غير مرشوق
تجمهرت وجرت فى فيافيها وبثت ودمرت بين تفريق وتحريق
جارت بما ارتكبت حالت لما ركبت
تاهت بما انتهبت أقرت بتلفيق

لم يحفظوا حرما لم يرعوا أمما لم يشكروا نعما شكران مرزوق
فجردوا السيف قهراً أى منصلت وفوقوا النذر سهما أى تفويق
جابوا البلاد كما خانوا العباد وهم يستطلسون طريقا غير مطروق
فكل باب دمار غير مفتتح وكل باب دمار غير مغلوق
كم حرموا من مباح القول واحتجروا
كم حللوا من دم بالظلم مهروق

ولا ريب فى أن الطوبراقى لم يعبر عن شعور الأمة ولم ينطق بلسانها . فالمصريون من غير شك كانوا فى جانب عرابى . أما الأتراك والجراكسة فكانوا من أعداء العرابيين . وقد عملوا ما استطاعوا على هزيمة الجيش المصرى وتمهيد البلاد للاحتلال البريطانى . وهم فى هذا مدفوعون بمصالح أنفسهم حريصون على

جاههم وسلطانهم الذى يتعرض للضياع والزوال إذا انتصر العرابيون . فلا عجب إذا أظهروا الفرح والسرور حينما انهزم المصريون أمام الجيوش البريطانية ، وراحوا يلقبون عرابى وأصحابه بالفئة الباغية ، والفرقة العاصية ، والبغاة الجهال ، والأشقياء الملحدين ، والأغبياء المتمردين ، وغير ذلك مما جادت به قرائحهم السقيمة

وانتهى الأمر بضرب مدينة الإسكندرية ضربا مروعا حل بها الخراب والدمار ، واشتعلت الحرائق وانتشر السلب والنهب وفى ضرب الإسكندرية يقول عبد الله فكرى :

يوارج أمثال البروج تقاذفت ... بمحمد كأمثال الصواعق رجم
يواخر ترمى الشاهقات بمثلها ... سراعا كأسراب الحمام المحوم
دوارع يلقين المخاوف آمناً ... بها سربها من كل حول ومرغم
من اللاء لايتركن حصناً محصناً ... ولا أنف برج شامخ غير مرغم
يطارحن أسراب الدافع فى الوغى ... بكل رجيح وزنه غير أخرم
وسالت شعاب الأرض بالجند زاحفاً
بكل سبوح من كميت وأدهم
يموج به الملذى فى كل مأزق ... كما زخرت أمواج يم مميم
وتغشى ضياء الشمس أسود حالك ... من النقع معقود بأفئم أسحم
تشيم منه الأفق والصحو سافر ... لثاما ووجه الجو غير مشيم
وأرعدت الأرض السماء وأبرقت ... بصيب ودق للمنية يهمى
وجاوب أصداء البنادق مثلها ... نداء فما يبقين غير مكلم
ونازع فيها ابن الكروب نديده ... رسائل ليست للتودد تنتمى

ولما انهزم العرابيون وأقبل الخديو إلى مدينة القاهرة أخذ الشعراء ينظمون القصائد فى مدح توفيق والتعريض بالعرابيين ، وكان من هؤلاء الشعراء من انضم إلى الحركة العرابية وناصرها . فلما منيت هذه الحركة بالفشل والهزيمة ، شرعوا ينظمون القصائد الطوال فى التبرؤ منها والاعتذار عما فرط منهم ، أو نفى تهمة الاشتراك مع العرابيين . وممن فعلوا ذلك عبد الله فكرى والفيشى اللذى صانعه الخديو وقربه إليه . وكان من الشعراء من هو من أصل غير مصرى . وقد وقف هؤلاء من بدء الحركة فى جانب الخديو ، فشرعوا بعد هزيمة عرابى ينظمون القصائد فى هجوه وسبه والتشهير به والطعن فيه . وكان الطوخى الذى سبقت الإشارة إليه أكثر هؤلاء الشعراء هجاء لعرابى وأصحابه . وقصائده التى نظمها فى هذا الموضوع من أمتن شعره وأجوده وأصدقه من حيث التعبير عن شعور البغض والكره للعرابيين وللحركة العرابية . ولم يتورع بعض هؤلاء الشعراء من الكذب والافتراء على الناس وعلى التاريخ أنظر إلى مصطفى صبحى باشا حين يقول من قصيدة طويلة دعاها « صدق المقال فى مثالب البغاة الجهال »

ولما أتى الأسطول مصر مسالما ... أترتم بريح البغى نار التحمد
ومناكم بالمستحيل خطيبكم ... وأدمج غشاً فى حماس مقلد
وأوهم زوراً أن فيكم بسالة ... فطاولتم بالجهل خطة أسيد
وهيأتم بعض الطوابى تنمراً ... وهددتم سيمور كل التهدد
فسببتم إحراقها وخرابها ... وكانت حصانا بالبناء المشيد

فهو يقول إن الأسطول البريطانى جاء مسالماً وأن عرابى هو الذى هدده . وهذه دعوى باطلة فندها بعض مؤرخى الإنجليز أنفسهم . ولكن هذا الرجل لم يتورع عن اتهام العرابيين بما برأهم منه أعداؤهم من البريطانيين .

قلنا إن الروح العسكرى المصرى الذى ظهر فى عهد سعيد قد اختفى اختفاء تاما فى عصر اسماعيل . ثم جاء الاحتلال البريطانى وسرح الجيش المصرى ثم كون جيش جديد صغير تحت إشراف البريطانيين . لذلك لم يكن من المعقول أن يمدح الشعراء توفيقاً بالشجاعة والإقدام ، والجرأة والبسالة ، وغير ذلك من ألقاب البطولة التى مدحوا بها سعيداً . فأخذوا يبحثون عن صفات أخرى تصلح لهذا الخديو . وكان توفيق أول حاكم فى العصر الحديث يكثر من غشيان الأضرحة والمساجد . فانتهز الشعراء بهذا المظهر الدينى وأخذوا يمدحونه بالتقوى والورع : ثم خلعوا عليه الصفات التى اعتادوا خلعها على كل من يمدحونه كالجود والحلم والذكاء والعدل . وقد أكثروا من مدحه بالحلم وذلك لعفوه عن كثير ممن اشتركوا فى الحركة العرابية . ومدحوه بجودة الرأى وسداد التفكير . ومثال ذلك قول الساعاتى :

مليك بحسن الرأى دبر ملكه ... وقد يبلغ المأمول شهم تدبرا
أذل له التدبير عزة من طغى ... وحاول أن يسمو العلا فتحدرا

فالتدبير هو الذى أذل عزة الطغاة ولم يكن السيف والمدفع . وقال :

ملك الوجود بجودة الرأى الذى ... قد كاد أن يحيا بها الاسكندر

بمثل هذا مدح توفيق . ولن تجد فى هذه المدائح على كثرتها إشارة إلى قوة حربية أو ذكراً لجيش أو سلاح .

(يتبع)

محمد سيد كيلانى